مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

التجربة الصوفية في الأديان وإشكالات التأثر والتأثير

الباحثة: ليندة بوعافية
جامعة باتنة

ملخص:

يتطرّق هذا البحث لدراسة التجربة الصوفية في الأديان عموما وضعية كانت أم سماوية، بهدف الوقوف على خصائص كل تجربة روحية، لتأكيد عالمية هذه الظاهرة التي لا تخص ثقافة أو دينا أو حضارة دون غيرها، مع أنها تختلف في محاولة صياغة تلك التجربة على أساس الدائرة الحضارية والثقافية ومحددات الإطار العقدي العام للدين الذي ينتمي إليه الصوفي، وعلى ذلك الأساس وجدنا علاقة تلازمية بين الدين والتصوف الذي نشأ في أحضانه، فهذا يسمى تصوفا هنديا أو بوذيا، أو فارسيا، وذاك تصوف يهودي، أو مسيحي، أو إسلامي، ولكل خصوصياته. كما تناولت ورقات هذه الدراسة دعاوى تأثير الأديان الوضعية في تصوف الأديان السماوية، وحاولنا تتبعها تاريخيا، وبخاصة دعاوى المستشرقين الذين اهتموا بالتصوف الإسلامي أيّما اهتماما لأسباب كثيرة وجلّها بعيدة عن الموضوعية، بالرغم من تراجع البعض عن مواقفهم المجحفة، لتأكيد أصالة هذا العلم الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: التجربة الصوفية، أديان الهند، التراث الفارسي، تصوف إسلامي، تصوف يهودي، تصوف مسيحي.

Abstract :

This research studies the mystical experience in religions -whether positive or revealed – in order to explore the characteristics of each spiritual experience and to emphasize that mysticism is a universal phenomenon not exlusive to a certain religion ,although the drafting of this experience varies

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

according to many factor like : civilisational and cultural specificities, and the general ideological frame of the Theosophist's religion .

On that basis, we found a correlation between religion and mysticism ; the latter has grown up in religion's arms , so we find : Indian or Buddhist mysticism, Persian mysticism , or also, Jewish mysticism, Christian mysticism and Islamic mysticism , each of them has its own specificities. We have also studied the impact of positive religions on mysticism in the revealed religions , and we tried to follow it historically ,especially, the allegations of orientalists who were deeply interested by Islamic mysticism on many insubstancial grounds ,although ,some of them have backed off from their unjust positions to confirm the authenticity of this Islamic science.

Key words : mystical experience , Indian religions, Persian heritage, Islamic mysticism, Jewish mysticism, Christian mysticism .

التجربة الصوفية في الأديان وإشكالات التأثر والتأثير:

إن التصوف ظاهرة إنسانية ذات طابع روحي، لا تحدّه حدود مادية، زمانية أو مكانية. وليس وقفا على أمة بعينها، ولا على لغة، أو جنس من الأجناس البشرية[1]، اتّخذه مجموعة من البشر كإعراض عن مباهج الحياة الدنيا وملذاتها، تحقيقا لسموهم الأخلاقي. وقد لقي هذا المجال الخصب اهتماما متزايدا، وأقلاما سيّالة لم تجف منذ قرون. والبحث جاء للإجابة عن إشكالية محورية هي: هل هناك تجربة صوفية في الأديان(وضعية كانت أو سماوية)؟ ما مدى صحة القول بالتأثر والتأثير

[1]- أبو العلا عفيفي، التصوف: الثورة الروحية في الإسلام، الإسكندرية: دار المعارف، ط1، 1963م، ص55.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

بينها؟ هل فعلا للتجارب الروحية في الأديان الوضعية أثر في تصوف الأديان السماوية؟. وهذا ما سنحاول بحثه فيما سيأتي:

أولا- التجربة الروحية في الديانات التاريخية العظمى والأديان السماوية:

يعرف "ولتر ستيس" التجربة الصوفية بأنها تجارب غير عادية لبعض الموجودات البشرية، وهي تجارب مدوّنة، أو يشار إليها على الأقل في آداب الأمم المتحضرة في جميع العصور[1].

1.التجربة الروحية في الديانات التاريخية العظمى:

أ.التجربة الروحية في الديانات الهندية(البوذية):

تعد بلاد الهند مضرب المثل في كثرة الاتجاهات الروحية[2]؛ لأن ديانات الهند تقوم أساسا على التقشف والزهد، ورفض الدنيا[3]، لذا يعدّ التصوف المكوّن الأساسي فيها[4]. وعندما نطالع تاريخ العقائد ومذاهب الهنود ندرك أن هذه البلاد القديمة كانت منذ القدم بيئة صالحة لنشأة العقائد الصوفية، وأصبح الهندي «متدينا بطبيعته يشغف بالروحانيات، ويسعى دائبا لمعرفة الله، متخذا الزهد وسيلة ليتخلص من دنيا المادة وينتظم في دنيا الروح»[5].

[1]- ولتر ستيس، التصوف والفلسفة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة: مكتبة مدبولي، دط، 1999م، ص22.

[22]- إبراهيم محمد إبراهيم، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، مصر: مطبعة الأمانة، ط1، 1406هـ/1985م، ص79.

[3]- هوستن سميث، أديان العالم، تعريب وتقديم: سعيد رستم، حلب(سوريا): دار الجسور الثقافية، ط3، 2008م، ص34.

[4]- والتر ستيس، التصوف والفلسفة، ص410.

[5]- أحمد شلبي، مقارنة أديان(أديان الهند الكبرى: الهندوسية، الجينية،البوذية)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط11، 2000م، ص27.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

أما التصوف في البوذية: وهي إحدى الديانات التي جاءت كثورة[1] على الهندوسية ونمطها الاجتماعي الطبقي[2]، وكمحاولة لإصلاح بعض تعاليمها[3]، هي في التعريف الأخير« فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة، ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة، والتسامح، وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحوّلت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني»[4].

مؤسس البوذية، رجل يسمى(جوتاما بوذا)[5]، اختار طريق النسك والرهبنة[6]،

وكانت بوذيته بوذية ساذجة[7] تهتم بالجانب الأخلاقي، ولهذا يرى "ولتر ستيس" أن بوذا« هو الشخصية المثالية للتصوف الهندي»[8]، لأنه حسب اعتقاده ترك البحث في في الإلهيات والعقليات والفلسفات جانبا، واهتم بالجوانب العملية في حياة الناس[9]، فكان يشترط على أتباعه الفقر، والطهارة، وعمل الخير، ونظمهم في جماعات من

[1]- إبراهيم محمد إبراهيم، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، ص113.

[2]- عبد الرزاق عبد الله حاش، موسوعة الطلاب المختصرة للعقائد والأديان، لبنان(بيروت): دار الكتب العلمية، دط، 1971م، ص82.

[3]- جوزيف كاير، حكمة الأديان الحيّة، ترجمة: حسين الكيلاني، بيروت: مكتبة الحياة، د.ط، 1964م، ص11.

[4]- كامل سعفان، معتقدات آسيوية(العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)، مصر: دار الندى، ط1، 1419هـ/1999م، ص173.

[5]- محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان(الديانات القديمة)، دب: دار الفكر العربي، دط، 1965م، ص53 .

[6]- أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ص134.

[7]- للتوسع انظر: أبو زهرة، مقارنات الأديان(الديانات القديمة)، ص54 وما بعدها.

[8]- ولتر ستيس، الفلسفة والتصوف، ص404.

[9]- إبراهيم محمد إبراهيم، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، ص149.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

رهبان الأديرة[1]. وبعد وفاته، وبمرور الزمن تطورت البوذية تطورا فكريا، غلبت عليه الصبغة الفلسفية[2]، وكان هذا التغيير الذي حدث مرتبطا بانتشارها الواسع[3]؛ حيث حيث أدّى تنوّع الأقاليم إلى تنوّع الأفكار، وتعدّد النزعات والاتجاهات الفكرية بين أتباعها ما أدّى إلى تعدّد الفرق واختلافها حول الكثير من المسائل التي شغلت العقول لا سيما قضية الألوهية التي لم يكن البوذيون الأوّلون يفكرون فيها نفيا أو إثباتا[4]، على الرغم من أن بعض النقاد قد ذهب إلى أن بوذا أنكر وجود موجود أعلى أعلى كلية، ولهذا عدّت البوذية مذهبا إلحاديا لا يعترف بوجود إله، وإن تجربتها الصوفية تجربة عارية لا يكسوها أي ثوب ديني[5].

وللرهبان البوذيين خصائص تميّزهم عن غيرهم من المدنيين: كاللباس الأصفر، وهو رمز مقدس لرهبانية بوذا، فلا يلبسه إلا الرهبان، لأنهم يمثلون شخص بوذا[6]. والتسوّل وترك العمل[7]. والصمت الدائم: وهو ركن هام، وخصلة أشاد بها بوذا في خطبه[8]. والتبتل، وسكنى الدير والخضوع للشيخ[9].

[1]- أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 2004م، ص30.

[2]- إبراهيم محمد إبراهيم، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، ص149.

[3]- المرجع نفسه، ص149.

[4]- المرجع نفسه، ص149.

[5]- كمال إبراهيم جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، القاهرة: دار الكتب الجامعية، دط، 1970م، ص38.

[6]- عبد الله مصطفى نومسوك، البوذية، تاريخها وعقائدها وعلاقة التصوف بها، الرياض: أضواء السلف، ط1، 1420هـ/1999م، ص 297.

[7]- المرجع نفسه، ص 301.

[8]- المرجع نفسه، ص 303.

[9]- المرجع نفسه، ص 307.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

ب.التجربة الروحية في الديانات الفارسية:

إن دراسة المنحى الصوفي الذوقي في تاريخ الثقافة الفارسية سوف يتعدى تحديد حقيقة الزرادشتية[1]، وامتداداها الفكرية إلى تعريف المفاهيم الإشكالية المركزية مثل مثل (العرفان)، و(الإشراق)، إذ يرى محمد عابد الجابري أن العرفان«نظام معرفي ومنهج في اكتساب المعرفة، ورؤية للعالم، وأيضا موقف منه...والعرفان في اللغات الأجنبية يسمى(Gnose) والكلمة يونانية الأصل وتعني المعرفة»[2]. ومعنى هذا أن العرفان يمثل أفقا للإدراك المباشر من خلاله يتم حلّ مشكل المعرفة ببيان وسائل تحصيلها، وتحديد موضوعها الأساسي، وهو ما كان محورا أساسيا لأغلب النظريات الصوفية، وصار يصطلح عليه حديثا بـ(ثيوصوفيا) أي (الحكمة الذوقية)، وهي تفوق الحكمة العقلية، لكونها تتطلع إلى إدراك طور ما بعد العقل، وعبرها تتم معرفة عالم الغيب وجوهر الوجود، وتكون أدوات المعرفة فيها: القلب، الذوق، والكشف، والإشراق. وهي تتعدى أفق التجربة العملية (النسك، العبادة، الذكر) إلى الرؤيا القلبية (الكشف، التجلي، الإشراق). وهذا ما يتيح إمكانية تجاوز حدود الزمان باتجاه المطلق واللانهائي على عكس المعرفة الحسية التي هي مشدودة إلى عالم المادة ، أو المعرفة العقلية التي لا تتجاوز حدود المعقول، ولذلك سميت ثمرة هذا الطريق بـ(الحكمة المتعالية)، واشتهرت في بلاد الشرق، وعلى الأخص بلاد فارس[3]،كما وجد فيها الزهد.

[1]- انظر: محمد كحلاوي، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2008م، ص96-97.

[2]- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، دط، 1988م، ص258.

[3]- الكحلاوي، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، ص100.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

2.التجربة الصوفية في الأديان السماوية:

أ. في اليهودية:

تمثل "القبّالاه" التصوف اليهودي، وهي نوعان كما بيّن "عبد الوهاب المسيري": تصوف يهودي توحيدي[1]، وآخر حلولي، وبالرغم من استخدام لفظ "تصوف يهودي" «للإشارة إلى التجربتين إلا أنهما مختلفتان تمام الاختلاف؛ فالتصوف الحلولي، وخصوصاً في أشكاله المتطرفة؛ هو شكل من أشكال العلمنة، فإذا كان الإله أو الخالق هو مخلوقاته، ومخلوقاته هي هو، وإذا حلّ الإله في المادة فإن الطبيعة تصبح هي الإله كما يؤكد "سبينوزا".كما أن صاحب العرفان يصبح قادراً على التحكم في الإله والطبيعة والكون»[2]. لذا يؤكد في الأخير أن التصوف اليهودي الحلولي يتّجه نحو الاتحاد مع الإله والالتصاق به" ديفيقوت"[3]، ولأن ميزة التصوف اليهودي في معظمه يدور في إطار حلولي، فهو يفضل أن يشار إليه بكلمة (قبّالاه) لأنه يراها أكثر دقة وتفسيرية[4].

ارتبطت النشأة الفعلية للقبّالاه -بمعناها الحالي- زمانيا بالقرون الوسطى؛ حيث كان أول ظهور لها في فرنسا، ثم انتقل مركزها إلى إسبانيا. ثم تطورت اقترانا بالفهم الروحي للمنفى والخلاص[5]. وقد مرّت القبّالاه بمراحل تاريخية عديدة؛ وحفّت

---

[1]- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(نموذج تفسيري جديد)، قرص مضغوط، دار الأقصى للنشر والتوزيع الإسلامي،2004-2005م، مج5، ص244.

[2]- المرجع نفسه، ص245.

[3]- ديفيقوت(التوحد بالإله والالتصاق به): كلمة تشير إلى الحبّ العميق للإله الذي يؤدي على الاتحاد معه. وهو مفهوم حلولي، صار مفهوما مركزيا في القبّالاه. المرجع نفسه، ص267.

[4]- المرجع نفسه، ص245.

[5]- إليور، راشيل، المنفى والخلاص في الفكر الصوفي اليهودي، مجلة الدراسات المتعددة المواضيع للأديان التوحيدية، دون عدد، 2004م، دب، ص13.

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

بمفكرين بارزين لكلّ إسهاماته وتفسيراته[1]، كما زاد انتشارها من خلال ظهور كتب أهمها(الزوهار)؛ إذ يعدّ المنبع والمصدر الأساس للنزعات الروحية عند اليهود[2]، بل صار من الكتب اليهودية المقدسة مثله مثل العهد القديم والتلمود، واعتبره اليهود الأرثوذكس التوراة الثالثة إلى جانب التوراتين(المدونة والتلمود)[3]. وهو عبارة عن شروح أو تعليق صوفي باطني للعهد القديم مكتوب بالآرامية[4]، ينسب إلى الحاخام (شمعون بار يوحاي)[5]، رغم أن الكثير من المحققين الثقات أنكروا صحة نسبته إليه[6]، مؤكدون-بما لا يدع مجالا للشك- أن مؤلف الكتاب هو (موشي دي ليون) المعروف بـ(موسى الليوني)، الذي عاش في الأندلس في القرن الثالث عشر[7]. وتعتبر هذه المدوّنة الصوفية الكتاب الأساسي والنص المركزي لحركة التصوف اليهودي[8]، وما هي إلا صورة توضيحية لتأثير القبّالاه الأندلسية التي نمت في دائرة الثقافة

[1]- المسيري، الموسوعة، ص271.

[2]- حسن القواسمة، أحمد، و زيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع: دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 1430هـ/2009م، ص549.

[3]- المرجع نفسه، ص549.

[4]-سامي الإمام، تيسير فهم القبّالا(أسرار الحكمة الباطنية):
بتاريخ(2017/5/9):https://www.facebook.com/samy.alemam/

[5]- عبد المجيد همو، الفرق والمذاهب اليهودية من البدايات، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ط2، 1425هـ/2004م، ص121.

[6]- شمعون مويال، التلمود(أصله تسلسله آدابه)، تقديم ومراجعة: رشاد عبد الله الشامي وليلى أبو المجد، القاهرة: الدار الثقافية للنشر،ط1، 1425هـ/ 2004م، ص175.

[7]- عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، (دب: مكتبة مدبولي، دط، دت)، ص ص173-174

[8]- حسن القواسمة، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، ص549.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

الإسلامية من جهة، وتأثرها بفلسفة "موسى بن ميمون"[1] من جهة أخرى. وازدهرت القبّالاه على يد "إسحاق لوريا"(1534-1572)[2]، وسميت على اسمه(القبالاه اللوريانية)، حيث تعدّ أشد أنواع القبّالاه حلولية وتطرّفاً. برزت بعد طرد اليهود من الأندلس، واستقرارهم في الأراضي المغربية، وخصوصا أرض فلسطين[3]. وأحكمت سيطرتها شبه الكاملة على الفكر الديني اليهودي[4].

والقبّالاه في التعريف الأخير موسوعة ضخمة تعتمد في مفرداتها على منهج الجمع والتلفيق بين عناصر ثقافية متباينة مستمدة من مصادر مختلفة: حيث يذهب الكثير من العلماء إلى إرجاع جذورها إلى الفلسفة المصرية الوثنية القديمة، والإثنينية الزرادشتية القائلة بالظلمة والنور، كما يؤكدون على التأثير الفكر الهيليني، والأفلاطونية الحديثة، لكن أهم ما تأثرت به القبّالاه على الإطلاق الغنوصية[5].كما تأثر الفكر القبَّالي أيضا بفكرة التثليث المسيحية، وتطوّرت إلى فكرة التعشير، كما يقول المسيري؛ أي تحوّل الإله إلى عشرة أجزاء، هي التجليات النورانية العشرة (سفيروت)[6].

[1]- انظر: إسرائيل دفلنسون(أبو ذؤيب)، موسى بن ميمون (حياته ومصنفاته)، مصر: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ط1، 1355هـ/1936م، ص ص21-22.

[2]- انظر:عبد المنعم الحفني،الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية،(القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1400هـ/1980م)، ص ص189-190 .

[3]- حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شحلان، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة، دط، 2000م، ص207.

[4]- المرجع نفسه، ص251.

[5]- المرجع نفسه، ص15.

[6]- المرجع نفسه، ص40 وما بعدها.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

ب.في المسيحية:

والمسيحية كأي دين أيضا لها تصوفها، وقد عرف بـ"الرهبنة"[1]، وهي أكثر الروحانيات المسيحية انتشارا. وقد استخدم لفظ الرهبنة في معناه الواسع للتعبير عن الحياة التي عاشها النساك بعيدا عن العالم سواء في عزلة كاملة أو في حياة الشراكة[2] في الأديرة، لأن الحياة النسكية المسيحية كما يقول القديس "ايثناسيوس الرسولي"« ما هي إلا ممارسة عملية لما حياه السيّد المسيح وعلّمه، وكذلك السيدة العذراء والآباء الرسل من بعد»[3].

اختلف المؤرخون والباحثون المسيحيون حول عوامل نشأة الرهبنة المسيحية، ومصدر هذا الاتجاه الروحي، حتى وإن كان من المتعارف عليه أن المسيحية دين يعنى بالروحانيات[4]. إن الثابت أن الحياة النسكية لم تكن قاصرة على المسيحية، وهذا أمر مسلّم به، فقد وجدت بهذا المفهوم قبل العصر المسيحي بقرون عديدة عند الهنود، والمصريين القدماء، والإغريق، وحتى اليهود[5]، أما أغلب المسيحيين[6] فيعتقدون-معتمدين موقف الكنيسة- أن الرهبنة، وإن لم تكن مسألة إيمانية عقائدية، ولا تتضمن مبدأ الإلزام، إلا أنها تعدّ اتجاها مسيحيا أصيلا غير متأثر بتلك

[1]- ابن منظور، أبو جمال الدين، لسان العرب، بيروت: دار صادر، دط، 1412هـ/1992م،مج1، ص1748. وبطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1977م، ج8، ص354.

[2]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، دب: المكتبة القبطية، دط، دت، ص1.

[3]- تيموثاؤس المحرقي، الحياة النسكية المسيحية وبعض النساك في القرون الأولى، دون بيانات النشر، ص18.

[4]- أحمد شلبي، مقارنة الأديان(المسيحية)، القاهرة(مصر): مكتبة النهضة، ط8، 1988م، ص237. ص237.

[5]- إيفلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية، تعريب: بولا البراموسي، القاهرة: ددن، 1، 1997م، ص12.

[6]- رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الإنسانية على العالم، القاهرة: مكتبة المحبة، دط، دط، دت، ص35.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

الحركات النسكية السابقة[1]، على الرغم من أن الكنيسة نفسها –وعلى اختلافها- لا تنكر ظهورها بعد السيد المسيح بزمن بعيد، وتطورها على أيدي الآباء الأوائل[2]، والأدلة التي استدل بها المسيحيون لتأكيد أصالة الرهبانية المسيحية تلك الأسس التي ترتكز عليها؛ إذ يعتقدون أن (الطاعة، والفقر، والبتولية، والوحدة)[3] كلها مأخوذة من نصوص إنجيلية مسيحية، وروحانية صوفية تختلف عمّا سواها[4]. لكن الحقيقة أن المسيح -عليه السلام- لم يدع إلى الرهبنة، بل إن بولس الرسول مؤسس المسيحية الحالية هو من أعلى من شأنها.

تكاد تتّفق التعاريف السابقة حول مضمون التصوف المسيحي، فقد لخصت خصائص هذا التصوف، والذي يشترك مع غيره من أنواع التصوف؛ فهو طريق تطهري حبّي شاق ومؤلم تخوضه النفس باختيارها، نهايته فيها غبطة لا تقاس لأنها بلغت مرادها، تحقّقت لها المعرفة الحقة، والاتحاد بمحبوبها، ليعبر عن تلك الأشواق والأنوار، وما كشف له بلغة مبهمة، لا يفهمها إلا من عاش التجربة، وخاض غمارها. وهنا يظهر الاختلاف بين التصوف في المسيحية، وفي اليهودية، فالقبّالاه لا تلقي بالا للممارسات النسكية كما أسلفنا الذكر اللّهم ما كان خادما لهدفها في الاتحاد، والالتصاق بالله، خلاف التصوف المسيحي، الذي وضع طريقا عمليا واضحا تجلى في الرهبنة في أوضح صوره.

ج. في الإسلام:

عرفت الحركة الروحية في الإسلام باسم"التصوف"، وهو مستحدث لم يكن معروفا كما أشار القشيري في رسالته قبل المئتين للهجرة[5]. ومع ذلك، فقد تعددت

[1]- للتوسع انظر: الأنبا يوأنس، باقات عطرة من سير الأبرار و القديسين، ص158 وما بعدها.

[2]- رؤوف حبيب، الرهبنة والديرية في مصر، ص43.

[3]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة، ص13.

[4]- المرجع نفسه، ص13.

[5]- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، القاهرة: مطبعة حسان، دط، 1974م، ص126.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

دلالاته واختلفت معانيه لدى علماء التصوف المتقدّمون[1] والمتأخرون[2]. غير أن هناك من لم يلتزم بهذا الاسم، فأطلق عليه تسميات كثيرة، لكن يرى محمد بشير الشفقة «أن التعصب لاسم(التصوف) والحرص على الاحتفاظ به ليس له ما يبرره، خصوصا إذا ما ثبت أنه سبقتنا بالتسمي به متصوفة الرهبان من النصارى والبوذيين، وغيرهم من أهل ملل الكفر.كما أن إنكار ورفض ما ينطوي عليه من حقائق إيمانية، وأخلاق مثالية- لمجرد التسمي بهذا الاسم- ظلم له ولأهله، وخسارة أيّما خسارة لمن حكم عليه هذا الحكم الجائر، لأنه ظلم نفسه إذ تعدى مرتين، مرة ظلم العلم، ومرة ظلم أهله، وهل علومهم إلا(علم الإحسان)، أو تقول(علم الإخلاص)، أو تقول(علم العبودية)، أو تقول(علم التزكية)، وهل أهله إلا: (الربّانيون)، أو تقول(أهل الله)، أو تقول(العلماء بالله)، أو تقول(أهل الذكر)، أو تقول(العارفون بالله). قال تعالى﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ **[النحل: 43]**. فبأي اسم سميته، أو سميت أهله مما مرّ فإنك تجده في كتاب أو سنة، وهو يدل على القوم واختصاصهم بلا لبس ولا غموض»[3]، ومضمونه عزوف النفس عن الدنيا، والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها والزهد فيما يُقبِل عليه الناس من مال وجاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة[4]. وقد ركّز "عباس محمود

[1]- انظر: القشيري، الرسالة، ص127، والسهروردي، عوارف المعارف، عبد القاهر بن عبد الله، بيروت:دار الكتاب العربي، ط2، 1403ه/1983م، ص5، وأبو بكر محمد، الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمود أمين النواري، القاهرة: مكتبة الكليات، ط2، 1980م، ص34.

[2]-انظر: الجرجاني، الشريف علي بن محمد، التعريفات(معجم فلسفي، منطقي، صوفي، فقهي، لغوي، نحوي)، تحقيق: عبد المنعم الحفني، القاهرة: دار الرشاد، دط، دت، ص59.

[3]- عمر عبد الله كامل، التصوف بين الإفراط والتفريط، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1422ه/2001م، ص50.

[4]- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق: دار يعرب، ط1، 2004م، مج2، ص225.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

العقاد" في تعريفه على أهم ميزتين يرى أنهما تَسمان التصوف، وتميزانه عن غيره، وهما: الصفاء، والمحبة. فالصوفي من صفا قلبه لله[1]. لذلك يقول« فالصوفية قد يخلعون الصوف، وقد يعيشون بين الناس، ولا ينقطعون للخدمة الدينية، وقد يكتبون في الحكمة الإلهية أو يكتبون في المعاملات والمكاسب، أو لا يشتغلون بالكتابة، ولكنهم إذا غابت عنهم صفة واحدة- هي صفاء القلب لله-لم يحسبوا من الصوفية، ولم يسلكوا أنفسهم في عداد أهل التصوف بسمة أخرى من سماتهم المشهورة»[2]. والميزة الثانية: الإيمان بالله على الحبّ لا على الطمع في الثواب، أو الخوف من العقاب، لأن الصلة بين الصوفي وربّه إنما هي صلة قائمة على المحبة[3]، وهذا هو الحبّ الإلهي[4].

نشأ التصوف أوّل الأمر في صورة زهد[5] عُرف في أوساط الصحابة والتابعين، وكانت معالم الطريق الروحي عندهم رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده. ومضى القرن الثاني للهجرة والتصوف لا يزيد عن كونه سلوكا فرديا يعبّر عن الزهد في الدنيا، والجدّ في طلب الآخرة، وإصلاح الظاهر بأنواع العبادات الظاهرة، وتزكية الباطن بأنواع الأخلاق[6].

تطور الزهد بعد ذلك وصار تصوفا[7] بمعناه الحقيقي بعد أن كان مجرد سلوك[1]، سلوك[1]، وأصبح في هذه المرحلة ظاهرة متميزة، امتزج فيها السلوك بالتفكير، وأصبح

[1]- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، دط، دت، ص109.
[2]- المرجع نفسه، ص110.
[3]- المرجع نفسه، ص110.
[4]- المرجع نفسه، ص111.
[5]- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، مصر دار المعارف، ط4، 1966م، ج1، ص53.
[6]- عمر عبد الله كامل، التصوف بين الإفراط والتفريط، ص57.
[7]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي(من الفتح العربي حتى اليوم)، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م، ص370.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

للصوفية كيان خاص داخل المجتمع الإسلامي، لهم أقوالهم واتجاهاتهم النظرية التي حدّدت معالم التصوف الأولى، ولهم لغة رمزية لا يشاركهم فيها سواهم[2]. ومع القرنين الثالث والرابع للهجرة -اللذين يمثلان العصر الذهبي للتصوف الإسلامي[3]- بدأ ينتظم علما مكتملا[4] من ناحيتيه النظرية والعملية، حتى يمكن أن نعدّ تصوف هذين القرنين تصوفا إسلاميا اكتملت فيه كلّ مقوماته[5]، رغم ظهور بعض الانحرافات التي نسبت له، لكن الاتجاه المعتدل انتشر انتشارا واضحا مع القرن الخامس للهجرة، حيث بذلت محاولات جادة لإرجاع التصوف إلى حظيرة الكتاب والسنة[6]. واستمر تطوّره إلى حدود القرن السادس والسابع، حيث اتّحد الصوفية في جماعات منظمة، عرفت فيما بعد بـ(الطرق الصوفية)، وأصبح لكلّ طريقة شيخ، حتى أصبح هذا الأخير أمرا لازما[7].

لقد مثّل التصوف ثورة روحية في تاريخ التجربة الإسلامية، ثورة تتجلى فيها روحانية الإسلام؛ حيث قدّم تفسيرا عميقا للإسلام، فيه إشباع للعاطفة، وتغذية للقلب، فلم يقف عند التفسير الظاهري الذي قدّمه الفقهاء للإسلام، ولا التفسير العقلي الجاف الذي وضعه الفلاسفة والمتكلمون، ولذا سعى إلى فهم آخر لله، والنفس الإنسانية، والدين، والعالم، والوجود، وبثّ في تعاليم الإسلام روحا جديدة، أدرك مغزاها من أدرك، وأساء فهمها من أساءه[8].

---

[1]- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 1999م، ص22.

[2]- التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص95.

[3]- أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص96.

[4]- عمر عبد الله كامل، التصوف بين الإفراط والتفريط، ص30.

[5]- التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ص95-96.

[6]- المرجع نفسه، ص145.

[7]- ابن عباد الرندي، الرسائل الصغرى، نشر الأب: بولس نويا اليسوعي، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، دط، 1957م)، ص107 .

[8]- أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص6.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

ثانيا: مظاهر تأثير التجارب الروحية للديانات الوضعية القديمة في الأديان السماوية:

1.التأثير في التصوف اليهودي:

يذهب الكثير من العلماء إلى إرجاع جذور القبّالاه إلى الفلسفة المصرية الوثنية القديمة[1]، لأنهم كانوا ضمن النسيج الاجتِماعي الحضاري الفرعوني لقرون عدّة، وكان من نتاج الاحتكاك الثقافي تلقّي ثقافة الغالب، وامتزاجها مع ما لهم من عادات وعبادات، وضمّها ضِمن تراثهم العقدي والفكري على أنها من نتاجهم تدريجيّا، فتشكّلت عندهم تعاليم كهنوتيّة فلسفية سحريّة، هي جماع الخليط بين التراثين العبري والمصري الفرعوني، عُرفت في التاريخ اليهودي فيما بعد بالقبّالاه اليهودية. وكانت هذه التعاليم بمثابة فلسفة منهجيّة للتّفكير والتّحليل، مرَّت بأطوار عدَّة حتى طبّقوها على شرح التَّوراة، فكسبت رداءً دينيّا معه وشاح الشرعية التلموديَّة، وتناقلوها جيلا بعد جيل كتعاليم شفوية[2].

2.التأثير في الرهبنة المسيحية:

يذهب كثير من الباحثين إلى الربط بين الرهبنة المسيحية وبين التنسك المصري القديم[3]. لكن أغلب الآراء تتجه إلى اعتبار أن الحياة النسكية المسيحية تأثرت بديانة بديانة وثنية بعينها وهي الديانة الهندية[4]. ومن ممثلي هذا الاتجاه "غوستاف لوبون" الذي أكّد ذلك التشابه بين المسيحية والبوذية؛ فالمسيحية استعارت كثيرا من معتقداتها، وشعائرها من البوذية، كالتثليث، والأقانيم، وقصة الصلب للتكفير عن الخطيئة، والزهد، والتخلص من المال للدخول في ملكوت السموات، والرهبانية...وهي

[1]- المسيري، الموسوعة، ص13.

[2]- [ليليل عبدالكريم]، مظاهر تأثر التراث اليهودي بالتراث الفرعوني الوثني، (12-10-2015):
http://www.alukah.net/cultur

[3]- إبراهيم العدوي، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، ص72.

[4]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، ص ص4-5.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

كلها مستعارة من البوذية التي سبقتها بقرون[1]. وأيّد "أحمد شلبي" هذه الحقيقة قائلا:«نقرر أن مسيحية بولس استعارت هذا، وسواه من البوذية، فطبيعة اللاحق أن يستعير من السابق، ولا يمكن للعكس أن يكون، وبخاصة أن هذه الاتجاهات دوّنت قبل ظهور عيسى، وهي وليدة الحياة الهندية»[2].

3. دعوى التأثير في التصوف الإسلامي:

أ.الأثر الهندي في التصوف الإسلامي:

اهتم رهط من كبار المستشرقين منذ بدايات القرن التاسع عشر الميلادي بدراسة مصادر التصوف ضمن ما اصطلحوا عليه بـ"المؤثرات الأجنبية" في نشأة التصوف الإسلامي وتطوره، وكانت دوافعهم إلى تلمس المؤثرات المزعومة عديدة. فيشير كثير منهم إلى وجود تشابه كبير بين تعاليم متصوفة الإسلام والتعاليم البوذية، بل وأشار بعضهم إلى أن التصوف الإسلامي ليس إلا بضاعة مستوردة من البوذية والهندوسية وأديان الفرس القديمة، وكان "فون كريمر" أوّل القائلين بالتأثير الهندي، ثم تبعه "ماكس هورتن"، و"جولدسيهر" الذي يؤكد أن « العقائد الهندية أثرت في الآراء الصوفية الإسلامية فاكتسبت بفضل هذا التأثير قوة وعمقا ونفاذا ففكرة الاتحاد أو وحدة الوجود تخطت الصورة التي انتحلتها الصوفية من الأفلاطونية الحديثة، غير أن نظرية الصوفيين في الفناء هي التي تقترب وحدها من فكرة الجوهر الذاتي

[1]- أحمد شلبي، مقارنة الأديان(المسيحية)، ص177.

[2]- للتوسع انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ص155، وكتاب: المسيحية، ص184 وما بعدها. وحكيم أمين، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، القاهرة : مطبعة رمسيس، دط، 1963م ص2. ورالف لنتون، شجرة الحضارة(قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث)، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ط1، 1958م، ج3، ص197 وما بعدها.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

الهندية"النرفانا" إذ لم تكن تتّفق معها تماما»[1]. أما نيكولسون، فيؤكد أن الزهد أو التصوف جاء –في رأيه- إلى الإسلام عن الديانات الأخرى وبالذات المسيحية التي أثّرت في حياة نبي الإسلام وصحابته فكانوا يقومون الليل عبادة وتبتلاً محاكاة للمسيحية، ويضيف قائلا «ومهما يكن الأمر فأثر البوذية ظاهر بصورة واضحة في التصوف الإسلامي في العصور الوسطى، في الناحيتين النظرية والعملية على السواء، فإن المسلمين أخذوا استعمال السبحة وعادة حبس الأنفاس عن الرهبان البوذيين الذين كان لهم الأثر الأكبر في تشكيل الحياة الصوفية، وما وصلت إليه من تطور في ذلك العصر»[2].

وبالرغم من ذلك فقد ظهر توجه موضوعي يؤكد وجود تماثل وتباين بين المظاهر الشكلية والسلوكية للمتصوفة عموماً على مختلف أديانهم وعصورهم، وخاصة التصوف الإسلامي والرياضة الروحية في البوذية، كالمقامات ونظرية الفناء عند متصوفة الإسلام، والنرفانا والحقائق النبيلة في البوذية. ومن هنا يؤكد ضرورة دراسة المفاتيح الأولية والمفاهيم الأساسية المتعلقة بالموضوع لمعرفة أوجه التباين والتشابه بينهما، مثل الحلول والاتحاد، وصفة الطريق إلى كل من الفناء الصوفي والنرفانا البوذية، التي تتمثل في الرياضيات النفسية وأساليب مجاهدة النفس. كما يتطرق البحث إلى تناول مسائل عديدة تتعلق بالمفاهيم المذكورة كالزهد وحب الله في الفكر الصوفي الإسلامي، وعلاقتهما بالتقشف وقمع الشهوات الذي تدعو إليه البوذية، بجانب دراسة مفهوم المقامات عند الصوفية، وعلاقتها بالحقائق الأربع

[1]- الكحلاوي، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، ص139.

[2] - انظر: نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: أبو العلا عفيفي،(القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، 1969م)، ص ص43-47.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

النبيلة، والشعب الثماني النبيلة عند البوذية، وذلك بفحص معانيها الفكرية وجذورها العقدية والأخلاقية، وكذلك مقاصدها الدنيوية والأخروية. إن معرفتنا لبواعث وغايات كل من "النرفانا" البوذية و"الفناء" الصوفي، سوف ترشدنا إلى إدراك التباين والتماثل بين نظريتي "الفناء" و"النرفانا" من حيث الغاية والمفهوم، ومن حيث طرق الوصول إليهما التي تتمثل في الرياضات النفسية وأساليب مجاهدة النفس، كالتبتّل، والجوع والصمت، والخلوة وغيرها.

ب.الأثر الفارسي:

يعد المستشرق البروتستانتي تولوك(F.D.R.Tholuk) أوّل من ردّ التصوف الإسلامي إلى أصل فارسي، فقد ذهب إلى اعتباره مأخوذ من أصل مجوسي، وأنه نتاج لتطور الدين لدى الجنس الآري، مؤيدا قوله هذا بأن عددا كبيرا من المجوس ظل على مجوسيته بعد الفتح الإسلامي، ومعزّزا ذلك بتأكيده أن مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من أصل مجوسي، أو على الأقل على علم بالمجوسية[1]. وأكد هذا الرأي كل من: غوبينو، وفون كرايمر، وغولدزيهر، ودوزي[2]، و"ترمنغهام" الذي اعتبر أن التصوف الإسلامي قد اعتراه نوع من التطور في البلاد الإيرانية لارتباطه بحياة الدراويش المتجوّلين. وعليه فالقول بالتأثير الفارسي المطلق يجانب الصواب، ومن الأولى أن نبحث عن تأثيرات متصوفة العرب في نظرائهم من غير العرب[3]، فالفتوحات الإسلامية كان لها كبير الفضل في انتشار الإسلام ليصل إلى أقاليم كثيرة منها بلاد فارس، ومنها "خراسان"، حيث استطاع هذا الدين أن يتوغّل في قلوب أهلها، فتفجرّت ينابيع الحكمة منهم، وظهر هذا الاتجاه الصوفي في البيئة الخراسانية، ومن الطبيعي أن يتلوّن بلونها، ويتشرّب من مختلف المذاهب والعقائد التي نشأت فيها،

[1]- كحلاوي، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، ص100 .
[2]- المرجع نفسه، ص100 .
[3]- المرجع نفسه، ص52.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

ومنه انتشرت في بلاد فارس خلال تاريخها القديم والإسلامي، ولهذا يمكن القول أن العلاقة التي ربطت المسلمين بالفرس منذ وطأت أقدام الفاتحين "إيران"، ترتّب عنها امتزاج الأفكار والعقائد، وبالتالي قد ساهما في دعم الحركة الروحية الإسلامية التي وجدت بذورها في الجزيرة العربية. لكن القول بالتأثير الفارسي المطلق قول يجانب الصواب، لذا من الأولى أن نبحث عن تأثيرات متصوفة العرب في نظرائهم من غير العرب[1]. وبالتالي لم توفق نظريات المستشرقين وأخفقت في تفسير نشأة التصوف وتطوره؛ فبعد دراسات مستفيضة أصبح القول بإسلامية التصوف في مصدره حقيقة علمية لا يجادل فيها إلا مكابر[2]، نطق بها جهابذتها، وعلى رأسهم المستشرق "ماسينيون" حيث تراجع عن موقفه، ورأى أن هذا الاتجاه الروحي هو من دفع إلى بحث أسرار لغة القرآن، ودلالاته الروحية، باتجاه بناء فهم ذوقي روحي للتعاليم، والحقائق الواردة في القرآن[3]. وذهب مؤرخ فلسفة التصوف "علي سامي النشار" إلى أن إرجاع فكرة المؤثرات الأجنبية-على إطلاقها- إلى عدم اقتدار أصحابها "على فهم النص العربي". وحقيقة الأمر في نظره أنهم« (أي المتصوفة) نبعوا من القرآن وصدروا عن الروح المحمدي، فإذا رأوا في نصوص الأمم السابقة ما يؤيد النص القرآني أو الحديث المحمدي، قبلوه ووضعوه مؤيدا لفكرتهم الإسلامية. والدين في النظرية الإسلامية واحد، والأنبياء تتابعوا، يؤيد الواحد منهم الآخر، فلا ضرر ولا ضرار إذا أيّد أثر يهودي أو مسيحي فكرة الزهد الإسلامية والمنبثقة عن النبي محمد وصحابته، أو فكرة الحب الإسلامية التي يعلنها ويقررها أولا القرآن والسنّة»[4]. فمن الخطأ إذن أن نعتقد أن التصوف في جملته يعود إلى مصدر واحد، لا يمكن أن ننكر تسرّب

[1]- محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، تقديم: محمد حلمي عبد الوهاب، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، دط، 2011م، ص52.

[2]- عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، بيروت: دار صادر، دط، 1399هـ/1979م، ص444.

[3]- كحلاوي، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، ص103 .

[4]- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج3، ص16.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

عناصر أجنبية إليه، خاصة في العصور المتأخرة[1]، لكن الأكيد أن البذرة الأولى كانت القرآن الكريم، وسيرة النبي الكريم، والزهاد الأوائل، الذين تأثروا بحياة النبيﷺ، لا بالفلسفات، ولا بالديانات الأخرى.

خاتمة:

وبهذا العرض التاريخي للتجارب الروحية للأديان الوضعية والأديان السماوية يمكن أن نخلص إلى جملة نتائج أهمها:

- إن المنحى الصوفي معروف منذ القدم في مصر، والهند، والصين، وبلاد فارس،كما وجد ضمن الأديان السماوية؛ لأن التصوف باعتباره حالة، أو صفة لسلوك إنساني نشأ مصاحبا للإنسان منذ خليقته، حين أدرك أن خلف هذه الغلف الجسدانية سرّا مكنونا لا يستثيرها إلا التحكم التام بالبدن والشهوات، وإضعاف سطوة الجسد وسلطانه عليه لتشرق الروح وتضيء مكامنها، مكتشفة الحقيقة الوجودية، وقد وجد هذا الاتجاه في كل أمّة راقية، ولبس شكلا مناسبا لعقولها وأفكارها وتعاليمها.

- إن عدم وجود ناظم يقيد المسيرة الروحية الإنسانية، ويحقق التوازن بين الجسد والروح وهو "الوحي"، جعل الكثيرين يعتقدون بعقائد شركية، كالتناسخ، والاتحاد، والحلول، وهي كلّها مفاهيم مغلوطة ناتجة عن الفهم الخاطئ للألوهية، أو إنكار تام لها، ومن جهة أخرى غلّبوا جانبا على آخر، وقد التمسنا ذلك جليا في الأديان الوضعية، وحتى في اليهودية والمسيحية بالرغم من أنهما ينضويان تحت مسمى "الأديان السماوية" إلا أنهما وبفعل التحريف انحادا عن الحق؛ فاليهودية بماديتها لم تقبل طوال تاريخها أي نزعة روحية، وإن وجدت فبفعل التأثير الإسلامي، أما المسيحية غلّبت النزعة الروحية حدّ تعطيل الحياة، وتعذيب الجسد الذي جعله

[1]- غريب محمد علي، في التصوف الإسلامي، القاهرة: مكتبة الدار العربية، ط1، 2008م، ص42.

مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x
تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

الله أمانة، كل ذلك لبلوغ الهدف الأعظم وهو الاتحاد الصوفي. أما الإسلام فقد عدّ دعوة روحية إلى الله من أجل تهذيب النفس، وصقلها والارتفاع بها إلى الآفاق العليا من الروحانية السامية[1]. هذا من جهة، ومن جانب آخر فالإسلام يدعو إلى الحركة والنماء[2]. فمراعاة الاعتدال والتوازن بين متطلبات العقيدة والدين من جهة، ومطالب الحياة الاجتماعية من جهة أخرى علامة دالة على حسن الإسلام، بل اعتبر العمل على اختلاف صوره، وأنواعه مقياسا لكرامة الإنسان[3]. ولأن التصوف روح الإسلام وجوهره، لم ينحد عن تحقيق هذه الرؤية الوسطية التكاملية.

- وجوه التمايز والاختلاف بين تجربة صوفية وأخرى راجع إلى التفسيرات اللاحقة لمكونات التجربة ذاتها، حيث يحاول كل صوفي موصول بدين معين صياغة تجربته تبعا للخلفية الدينية التي ينتمي إليها أو يصدر عنها رجاء التوافق مع مكونات تلك الخلفية، والتصوف في الأديان السماوية خير دليل على ذلك، فلليهودية تصوف يعرف بالقبّالاه، وللمسيحية تصوف له مظاهر أهمها الرهبنة، وفي الإسلام تصوف إسلامي، ولكلّ منها خصوصياته، مع تأكيد كثير من العلماء أن التصوف في الأديان السماوية- ومنهم البروفيسور أ. بيرت- لم يكن سوى تيارا صغيرا في المسيحية، والإسلام، واليهودية، مقارنة بديانات الهند حيث كان التصوف المكوّن الرئيسي في تلك الديانات[4].

-يؤكد كثير من الباحثين على المصدر الحقيقي للتصوف المسيحي وهو(المصدر البوذي). أما في التصوف اليهودي فقد كانت المساهمة كبيرة ومتنوعة، لكن الغنوصية كان لها النصيب الأوفر في تأثيرها على القبّالاه.

[1]- القرآن الكريم غني بالآيات التي تدعو إلى هذا الاتجاه الروحي الذي أنكره كثير من المستشرقين، منها: سورة البقرة: 182، سورة آل عمران: 79.

[2]- سورة الأعرف، آية: 32. وسورة القصص: 77.

[3]- عارف عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ص ص34-35.

[4]-المرجع نفسه، ص ص410-411.

المجلد :7 / العدد :1 ISSN :2353-0529
E-ISSN :2600-643x

تاريخ الارسال : 2019/06/02، تاريخ القبول: 2019/06/03، تاريخ النشر: 2019/04/10

-التأكيد على حقيقة المصدر الإسلامي للتصوف، باعتراف كبار المستشرقين، وبذلك أغلق الباب في وجه من يتشدقون بما يعرف بـ(المؤثرات الخارجية في التصوف الإسلامي)، مع عدم إنكار التأثر ببعض التيارات الخارجية، والذي ظهر في مرحلة لاحقة من مراحل تطور التصوف الإسلامي.